

دام انتصار مدرسة « هيجل » خمسة عشر عاماً ، لا تسمع فيها إلا صوت هذه المدرسة التي ملكت على القوم ، وفترت من وجهها كل مدرسة ؛ ثم أخذت تهوى عين عرشها لأن العقل الخدّر آن أن يصحو ، فبداله ما في هذه الآراء - برغم اشتهار صاحبها بقوة عارضته وقوة منطقته - من تناقض واضطراب . ففي عالمه السياسي والآلهي قد ظهر الاختلاف على أشده ، وجد « هيجل » في صاحب الديانة المسيحية شخصية سامية يمازجها روح الآله . ولكنه في فصل آخر يقر بأنه لا يجد في الدين إلا تعاليم آخذة طريقها إلى الفلسفة ، حيث تفنى في الفلسفة كل عناصر الإيمان . وأما آراء « هيجل » في التاريخ فهي آراء عقلية ، يتحدث بها عن عقل الفرد وعقلية الأمم ، ويرى تاريخ الحرية هو تاريخ العالم . أما العصر المشرق فهو عصر الحكم المطلق ، والعصر اليوناني الروماني هو عصر الحرية الجزئية وعصر الأحزاب والاسر والعبودية ، والعصر الجرمانى هو عصر النهضة والبعث والثورة ، ويقبل هيجل على العصر الحديث ويذكر أن الدولة هي هيئة من هيئات الفكر ، ولا بد لهذه الهيئة أن تتمثل في صاحب السلطة والسلطان . وهو لا ينصر مذهب توزيع السلطة خشية أن يثير ذلك الضغائن ويخلق الفتن ويوقع المراك في الأهواء . وهو يقدم لنا - بعد هذا الجوار الطويل - حكومته البروسية بدم معاهدة ( ١٨١٥ ) مثلاً سامياً للدولة . وهكذا لا يمكن للفيلسوف أن يتجرد من نمرة القومية حتى في المباحث التي ينبغي لصاحبها أن يكون مجرداً بعيداً عن الهوى

### مذهب المثال الكمالى .

وأخيراً ماذا ظل راسياً من مدرسة « هيجل » في الصرح الفلسفى ؟ أم ماذا بقى من ذلك الاتجاه العنيف نحو فلسفة « الواحد المطلق » الذى جرى وراءه فيخت وشيلنج وهيجل ؟ إن « كانت » في كتابه نقد العقل المجرى أجاب بأن معارفنا لا تضع لنا جواباً شافياً عن حقائق الأشياء ، ولكنها تقرب لنا صورها بطريق الحواس ، وهذا الوجود لا نراه على حقيقته التى هو عليها ، وإنما نراه على الحقيقة التى تبدو لنا منه . وجاء فيخت بعده فجعل من ( الذات ) ملجأ للحقيقة كلها . والأشياء الخارجة عن كياننا لا يكتب لها الظهور إلا في اللحظة التى تعالجها الذات وتضمن فيها تفكيراً . والإنسان بما أوتى من

### فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

## ٧ - تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

للأستاذ خليل هندأوى

أما الإنسان فهو عند هيجل الكائن الفرد الذى يتوسط بين الكائنات كيف يشاء ، ويُدرك نفسه بنفسه . الإنسان هو روح : روح ذاتية لا تحس إلا بمجربتها الخاصة ، ولا تعمل إلا على ما يضمن لها النصر على ما حولها . وروح اجتماعية تحترم حريات الناس وترعى حقوقهم . وروح مطلقة تسمو على التقاليد المادية ، يفتى إزاءها كل شيء من كل شيء . تواضع عليه الناس . روح تعود إلى نفسها لتجد في نفسها « المثال الآلهي » فلا تجده غرضاً تسمى إليه ولكن تجده حقيقة شاملة أدركتها فيما أدركت . . .

وقد وجد هيجل ثلاث شعب في العلوم : العلوم النفسية ، والعلوم الأدبية ، والعلوم الدينية . . . وقد شطر العلوم الدينية ثلاثة فروع : الفن ، والدين ، والفلسفة ؛ أما الفن فهو أول تجربة قام بها الروح ليتشبه بالوجود ، فالفنان يذهل عن نفسه حين يتأمل في عمله . والفن - في الحقيقة - هو بقظة من بقظات الروح ولمة من لمعات المبقرية . والدين يفسر معاني الألوهية برموز وألغاز . وفي النهاية وجد الإنسان ربه في نفسه ، وهاهنا تسمى الدين إلى الفلسفة ، وولد الآله في روح الإنسان ، وتأنف العلم المطلق ، وبسط به الإنسان سلطته على الكون ، وأدرك به غرضه . هذا هو الفيلسوف الذى يستطيع أن يفتق كتاب الوجود

وإذا الروضُ هامدٌ ما أفادته  
أيتها الروضُ إن ما بك أوهى  
داؤك الهجر والحبيب عصى  
فاذا ما جهدتُ في بعث ماضيه  
والزمان العنيدُ إن سدّد الرّم  
يا إله السماء إلى تحطّطه  
وذوّت مهجتي من النّعم البأ  
هُ شأيبُ دمعِي المَتّان  
عزّمانى وهَدّ من بُنيانى  
والليالى تُغريه بالحرمات  
لك رماني الزمان بانخذلان  
يَة ألوى بحيلة الإنسان  
تُ ومازلتُ في ربيع زمانى  
كى فن لى بأعذب الألمان؟  
قريب هين شرك

تسطع خلل الرماد ، وهي في الحقيقة لم تنفض عنها أملاً ولم تدفع مائلاً ، والحركة الفكرية التي ولدها أولئك الفلاسفة نذل على أن مرماها لم تنزع عنه الأبصار ، وأن آثارها لم يطمس عليها طامس ؛ وبعد حبوط تلك الآمال النازعة إلى حرية الشعب الألماني ولم شمته بعد التفرق ، خيم على الجبهة الألمانية شبه سكون لا يتمخض بحياة ؛ ولكن الأدب لا يموت ، ولكنه يثور ويتحرك في الأقطار المذلة حيث ترى أصحابها مدفوعين دفماً إلى الحياة ، والتاريخ وحده ظل دائباً ساعياً وراء الغاية دون أن يقف سيره شيء ، أما صوت الشعر فقد خفت ، والحيلة نامت إلى حين

في هذا العصر وجدت فلسفة « هيجل » مزاحماً جديداً عنيقاً ، هو تشاؤم « شوبنهاور » ومما ساعد على انتشاره قوة بيان صاحبه ، وهيجل كان أسلوبه غير بياني ، فهافت الناس بمقولم وقلوبهم على المذهب الجديد

ما قامت فلسفة أذيع وأسير من فلسفة « هيجل » ، فقد كانت تياراً قوياً تغذف بالنفوس إلى مسكن « المثل الأعلى » ولكن تأثيرها سرعان ما وهى ، وكان لهيجل أنصار كثيرون أخذوا عنه وحملوا مبادئه إلى أقطار أخرى ؛ حتى إذا وافاه أجله ذهب البعض إلى مقارنته بالاسكندر الذي غزا أقاليم مجهولة ، وبعضهم ذهب إلى تمثيله بصاحب الرسالة المسيحية ، وفكرة « هيجل » هي مذهب التحول المستمر ، والعالم — عنده — هو كالنبتة تنجم دائماً من أصلها ، وتجعل في بعض الأحيان براعم وأزاهير وثمرات .....

وبعد موت « هيجل » انشقت مدرسته وقام منها ثلاث فرق : فريق عكف على تحليل مذهبه وتطبيق فروعه على بعض فروع علمية وأدبية ، وقد هذب هذا الفريق من أسلوب معلمهم حتى أخرجوه من حلقة الخاصة إلى متناول العامة ؛ وفريق أراد أن ينزع عن فلسفة « هيجل » كل أثر من مذهب سابق ، وأن يرد كل أصولها إلى الدين ؛ والفريق الثالث نظر إلى « هيجل » نظرة مستقلة ، ووجد أن الدين المسيحي قد انتهى به ، كما انتهى العصر الوثني اليوناني بأرسطو ، والكلمة التي ردها أحد تلاميذه : « لتكمل إرادة الرجل » تعتبر أول قاعدة في بناء شريعة المستقبل

مبلى هنري

يتبع

عزم وقوة لم يكن يوماً بكاثر بسيط بدفع القوى المحدقة به ، ولكنه يريد أن يسيطر على العالم حتى يتمكن من شموه بنفسه . ولكن ماذا آلت إليه الطبيعة — في مذهب فيخت — ومما فيها التدفقة الحساسة ؟ إنها قد صرعت وتجردت من كل المعاني ، جاء شيلنج فعمل على مزج الفلسفة بالفن ، وجرب أن يوحد بين العالم والكائن المفكر . الإنسان والطبيعة يجب أن يتحدا ويكون واسطة اتحادهما العقل المفكر والأحاسس بالجمال . . . وهكذا عاد مذهب سبينوزا القائل بأن الله إنما هو كل الكائنات ، عاد هذا المذهب بصورة أوسع أفقاً من صورته الأولى ، يتوسع في الحرية الإنسانية ، وينطوى على فكرة فنية

بلى ، إن مذهب المثال الكمال الذي دان به الفكر الألماني مصدره المذهب القائل « بأن الله الواحد إنما هو كل الكائنات » وهذا « هيجل » هو الذي ثبت هذا المذهب بدستوره الذي جاء وليد جهود رفيعة تريد أن تشيد العلم الإنساني ، ثم تبلغ بهذا العلم نفسه منزل الحقيقة السامية . فتطور الحياة العضوية في الطبيعة ، وتماقب الأصول البشرية ، وتتابع المذنيات في التاريخ إن هي إلا وخجوه متقلبة لأصل واحد . وهذه هي الدائرة التي يجوزها الفكر المطلق عاملاً على تحقيق قوته البدعة ، وراجياً في النهاية أن يتم تعارفه مع الروح الإنسانية ... الله لم يكن ... ولكنه عاد ... وولد في الإنسان . إن معنى الوجود هو أضعف معنى ؛ وهل معناه إلا أن تبدو لحظة من الزمن على مسرح هذا العالم المتبدل ثم تعود إلى أصلك ؟ كل شيء يزول بدل على أن فكرة بزواله تمت ، أما حركة الحياة فإنها تهتمد في معنى مجرد لا تدركها الأنظار إن فلسفة هيجل حين جعلت من الروح الإنسانية ملجأ كل معرفة ووعاء كل حقيقة ، أصبح التدين بها يعرف الروح الإنسانية ، ولا يعرف مما حولها شيئاً ؛ هو يزعم أنه يحل الكون ويعمل حوادثه ويشيد دعائمه بفكره ، ولكنه في الحقيقة لا يتخطى — في ذلك — حدود العالم الصغير الذي يضم الإنسان عليه جوارح صدره

\*\*\*

لا بد لمن أراد أن يلم يتطور الأدب الألماني في منتصف القرن التاسع عشر أن يقع على أسباب تلك السامة التي تمشت في عروق ذلك الأدب ، ففي غرة هذا القرن اقتحم « نابليون » ألمانيا ، وغلبها على أمرها ؛ فأذعنت أو همدت قليلاً والنار